

لم يتوقف المثقفون العرب عن طرح الأسئلة القديمة التي لم يكف عن طرحها الإجابة عنها أو عن بعضها من خال ما قدمته أيديولوجيا التنوير التي رسخت الإيمان بالعقل وقدرته على حل المسائل العالقة من الماضي أو المتجددة في الحاضر. من أجل أن تنتصر قيم العقل بكل ما تعنيه من معان المعرفة الموضوعية وتوسع دائرة سيطرة الإنسان على مقدراته الطبيعية أصبحت أكثر قوة من الوقائع تفيد بأن سبب استمرارها هو الطبيعة الخاصة الاستثنائية بالعقيدة الإسلامية. ^١ أيضا في تقبل التغيير طالما أنها ترفض الفصل بين مجال الدين والمقدس ومجال الدنيا والحياة العادية المرتبطة بالمحكمة مجتمعات المسلمين تمييز المتطرفين من المعتدلين أو المسلمين المسالمين من الإسماعيليين السياسيين، المنظمة والألوية داخل المجتمعات العربية أيضا ليزرع بذور حرب أهلية داخلية قائمة على الشك والخوف المتبادل وفقدان الثقة في إمكانية التعايش بين مسلمين تحرروا من سطوة الدين ومسلمين متدينين أصبح كثيرون ينظرون إليهم على أنهم قبلية موقوتة. وما كان لهذا التفكير أن يستحق الاهتمام لو لم تكن نتيجته تغييب النقاش في مسألة الحداثة نفسها كواقع تاريخي مادي، التاريخية التي حكمت تطور المجتمعات أو قطعت عليها طريق تطورها الطبيعي نحا الباحثون إلى التدقيق في هوية هذه الحديثة السياسية والاجتماعية والثقافية، فهمه في الوقت الذي تعمل على تشويه صورته. قابلة للتحويل وال عن مقاومة مؤسسات قديمة أو بسبب تمسك الفرد بتراث ديني أو قبلي يتحدى قوانين التحول التاريخي. المجتمعات العربية ليست الوحيدة التي تعاني من أزمة كهذه ومن مظاهرها من نخب أصبحت غريبة عن المجتمع ال يمكن تفسيره بمقاومة أي تراث محلي. العامة وسياستها وانتظام الأفراد في عليه قوة المجتمعات الحديثة الاقتصادية والإنتاجية، أن فهم ما حصل يستدعي قلب الآلية تمام عن سبب التخلف الحضاري في تراث الماضي، التاريخية التي حكمت اندماج المجتمعات المختلفة فيها ومن ثم تشكلها في صورتها الراهنة الجديدة. هذا الندماج والأفكار التي وجهتها وأيديولوجياتها النامية الجديدة في منظومة الحداثة من مستوى عال، الدولية بما يضمن لها السيطرة على أكثر ما يمكن من الموارد والفوائد والريوع العالمية على حساب البلدان الضعيفة والتابعة. التخلف ثمرة إرادة الشعوب في البقاء على هامش الحداثة أو خارجها بسبب تعلقها في عوامل الحداثة المادية والتقنية والعلمية الأسواق والموارد والمواقع الاستراتيجية التي تزيد من فرصها في التقدم، موقع ضعف مقارنة بمنافسيها من الدول المتقدمة الأخرى أيضا. وحاسمة من أغلب الشعوب للقيم ومشاريعارتبطت بالتقدم المادي الفعلي والمباشر في مستويات المعيشة والتعليم وفرص العمل والنفتاح على العالم وتنامي الأمل بالمستقبل. الحداثة في البلدان النامية من فلسفة التنوير الغربي بأكملها. بمظاهره ورموزه كلها إلى داخل كل بيت ومنزل في أكثر القرى والمدن هاشمية. الإعاقه على خطين متقابلين ومتقاطعين معا: سياسات الدول الكبرى واستراتيجياتها وما أدت إليه من استقطاب عالمي بنيوي بين المجتمعات المركزية المتقدمة والمجتمعات الطرفية المتخلفة، والسيطرة على الأسواق الداخلية للدول الصغيرة والضعيفة النمو فحسب، البرجوازية أو الأوليغارشية الدولية للنخب التي سيطرت وال تزال على السلطة وأدارت عمليات التنمية وبالأحرى إعاقه التنمية في بالقوات المسلحة أو بالآجهزة الاستخبارية التي غالب ميليشيات وظيفتها تخويف الجمهور وردعه للحصول على خضوعه وطاعته. هذه المجتمعات أدرجت في منظومة الحداثة لكن على مستويات وبنوعية عالقات خارج هذه المنظومة أو خارج تأثيرها، ومحرك مساراتها يأتي من خارجها. تفقده بعدها فتخسر ما راكمته سابقا. في ذلك من دون صدام مع الدول الصناعية المركزية وأحيانا لقاء حروب طويلة ودموية، مسألة التقدم والتخلف ليست مكتوبة في نسيج أي عقيدة أو خيارات استراتيجية لقوى مهيمنة. الصراعات والحروب والهجرات والتحولات الجيوستراتيجية والثقافية، من توزيع أو إعادة توزيع الموارد وعوامل النمو وشروطه، سوى نتيجة مباشرة لنمط من الحداثة المعاقه من ضمن ما أنتجته الحداثة (الكونية) ذاتها من تشكيلات اجتماعية استثنائية تعكس بين القوى العالمية على الموارد الرئيسية المادية والثقافية: العلم والتقنية والصناعة والدولة ومستويات المعيشة والحريات الأساسية وقيم التضامن والتكافل الاجتماعي والسلام والأمن والرفاه والزدهار الروحي والفكري، الحاكمة ومن أجل إعادة إنتاجها كطبقة مراكز القرار والقوة والعقل والعلم والمعرفة والحياة والسعادة في الغرب والدولة فيها الشعوب التي لم يسعفها الحظ في التقاط الفرص أو في التمتع بمراد كافية، لمعركة التقدم وتعديل توازنات القوة وتوزيع أكثر عدل للموارد العالمية. الأوليغارشية التي ال تهتم إل بمصالحها الخاصة وال أمل لها بالبقاء إل بالرهان على العنف ودعم الدول الأجنبية. ليست الحداثة نموذجاً جاهزا يكفي لتحقيقها السير على منوال ما عرفته المجتمعات الأوروبية في القرنين الماضيين، يخوضها كل مجتمع لتغيير شروط اندراجه القسري في منظومة الحداثة، وموارد خاصة به بل، الشبكة أو الشرك المطبق عليه ويفرض على أصحاب السيادة والقوة في المنظومة الدولية وجوده وينتزع "حقه" في أن يبنى في الخاصة التي رافقت اندراج المجتمعات فيها والمصاعب أو المخانق التي واجهتها. (المواطنين) وكحق عام ال تستقيم السلطة وال تحظى ال ملكية حصرية لفرد أو أسرة

حاكمة. على مسألة تكوين ألم في الدول المتخلفة التي تكاد تعيش في أزمة اجتماعية وفوضى دائمة تكاد تجرد الشعوب عملي حقوقها السياسية وتقضي على السياسة كممارسة سلمية تفاوضية وقانونية أو جماعة سياسية متضامنة وإرادة جمعية مستقلة وفاعلة. سوى التخبط في حمى البحث عن هويات أهلية "سورية" لم يعد وال في ضمان مشاركتهم في أي قرار يتعلق بمصيرهم. الاجتماعية استمالك الدولة كما لو كانت غنيمة والمحاصرة فيها واستخدامها قلعة تحتمي بها وتنظم منها غاراتها على جمهور يفقر إلى أي لحمة أو رابطة حقيقية أو ها هنا تكمن أهمية نقد الحداثة التاريخية وإعادة تحويلها من أسطورة إلى واقع وانقساماته وتناقضاته وابتكاراته وإبداعاته وما ينجم عن كل ذلك من خراب مصالح البعض وازدهار مصالح البعض الآخر ومكاسبه تشجع على العنصرية والتعصب الديني والمبادرة والسيادة في بعض المجتمعات ويدين أكثرها بالكساح البنيوي والشلل الفكري العالم الحديث كما هو، القهر والعسف والعنصرية والإقصاء والسلب والنهب والحرب الاجتماعية والثقافية السائدة والحاكمة في المجتمعات المتخلفة، الدور الأكبر في تهميش الشعوب وإرساء أسس نظام الوصاية الرباعي الطرف: وصاية والوصاية الروحية لرجال الدين على ضمائر المؤمنين واستتباعهم بتخويفهم من الخطأ واتهامهم بالعجز عن معرفة الطريق الصحيح لإيمان وعن اتباع طريق الفضيلة يسعى القسم الأول من هذا البحث إلى التذكير بمحاولت بعض أطراف النخبة الاجتماعية من رجال الدولة أو رجال الدين أو المثقفين المتنورين لكسر جمود النظم القديمة والسعي إلى إصلاحها، الأوروبية ثم إخفاق الإصلاحات العثمانية التي جاءت تجسيدا لمطالب الدول الأوروبية وتطلعاتها الطامعة في اختراق أسواق الدينية التي اتهمها المصلحون الإسلاميون الأوائ بالفساد وتجسيد النحطاط العقلي والديني، دولة حديثة كان معظم خبراءها ومستشاريها في الجيش الجديد والإدارة من الأوروبيين. العثماني في اسطنبول بتعيين الباشا الجديد ويحاول القسم الثاني أن يصف الوقائع التي أنتجت المشرق الكسيع، وال الثانية - وتعتبر عن إرادتها الحرة وتطلعاتها، استقلالها واستمرارها في الضغط عليها وعند الحاجة إلى التدخل العسكري المباشر وتشكيل التحالفات الدولية لخوض الحرب الشاملة ضد من يطمح إلى تجاوز الخطوط الحمر التي رسمت لها كي ال تستعيد سيادتها أو تنجح في تحقيق أي مشروع للتقدم الصناعي والتقني والعلمي يضاعف من فرص تحرير إرادة شعوبها واستقلالها. تستخدم لتسويد فكرة الاستثناء والنقص البنيوي للمجتمعات العربية وأفرادها بصرف النظر عن اعتقاداتهم وثقافتهم. لتحليل عالقات السيطرة والنفوذ، ومتفاعل (معولم) وفي تاريخ واحد وعصر واحد وحداثة متباينة. إعطاء الصديقة لطروحات الإسلاموفوبيا العنصرية إن لم يكن إلى المساهمة النشطة يمثل هذا البحث مراجعة ذاتية ونقدا لدورنا، في مجتمعات ال تكف الحداثة الرثة عن تفكيك عراها وتفجير تناقضاتها الداخلية وزجها في أزمت ومخائق يصعب الخروج منها، الخاصة والكبيرة التي تقع على عاتقنا في العمل إلى جانب الشعوب على تحقيق القيم الأساسية الملهمة في التحرر والنعناق والمساواة والتضامن الإنساني والسالم